١١

الوحـــل

لا أستطيع أن أكون رساماً أو كاتباً، ولهذا قررت أن أكون منتج أفلام.

أرنون ميلتشان

ميلتشان رجل ذو نزعة فردانية، وقناص وحيد من نواح شتى، لكنه لديه ضعف تجاه الاستعراضات الضخمة للنشاط الإنسانى المنسق، سواء كان فى الحرب أو فى الترفيه. يريد المشاركة فيه، لكن عن بعد ليس بالكبير، وبشروطه الخاصة.

obeikandl.com

وكالمعتاد، كان يحتاج إلى وسيلة جديدة للحفاظ على اهتمامه باللعبة. وأدرك أنه كان مؤمّناً مادياً آنذاك بما يكفي ليجعله يخوض بعض المجازفات خارج نطاق مجاله المعتاد وبدأ يحقق فانتازيا قديمة بالعمل في مجال الترفيه وصناعة الأفلام. إذ لطالما أحب السينما ونظر بإجلال إلى الممثلين الذين كان يشاهدهم على الشاشة. وأعجب بكتاب السيناريو الذين أبدعوا وصنعوا بنية القصص. وبالمخرجين الذين تمكنوا بطريقة ما من تنسيق المشروع وإدارته برمته. وكان مفتوناً بالقوى الإبداعية واللوجيستية التي تجتمع لإنتاج فيلم ناجح، وكان مفتوناً أيضاً بمجال صناعة الأفلام.

في البداية مضى يزور مواقع الأفلام لمراقبة العملية. وتتذكر ابنته إليانور كيف كان والدها يجلس مع أبنائه ويشاهد الأفلام بلا توقف أثناء زياراته وتقول إن كل أفراد عائلتهم مدمنون للأفلام، وإنها أصبحت مهووسة منذ أن كانت في

obeikandl.com

الخامسة بالأفلام من خلال أبيها.

وفى عام ١٩٧٦ قام ميلتشان بأول استثمار له في مجال الترفيه. وفتح الباب له المنتج إليوت كاستنر، والذى سرعان ما تعرف على القدرات التمويلية للمليونير المفعم بحماس الشباب لتلك الصناعة الساحرة. كان كاستنر وكيل مواهب يهودياً أمريكياً قبل أن يعمل كمنتج. ونقل عملياته إلى أوروبا فى الستينيات، وبالرغم من أن مسيرته المهنية السينمائية فشلت فى إبهار النقاد، فقد نجح فى إنتاج العديد من الأفلام الشهيرة التى نجحت فى شباك التذاكر ومنها فيلم جسارة النسور، وهو فيلم حركة درامى عن الحرب العالمية الثانية من بطولة ريتشارد برتون، والذى قاد فريقاً من قوات الكماندوز فى عمق ألمانيا.

وقدم كاستنر ميلتشان بشكل ممنهج إلى اللاعبين الفاعلين فى هوليوود.

ويصف ميلتشان كيف قابل نجماً حقيقياً من هوليوود لأول مرة:

"كنت في مطعم في تل أبيب ذات ليلة عندما أتاني شخص وقال لي إن اسمه إليوت كاستنر. عجباً! الرجل الذي أنتج للتو فيلم ذا ميزوري بريكس. وكنت مجرد معجب آخر، لكنه سحرني بشدة. وكان ينتج فيلم "أليتل نايت ميوزيك" مع إليزابيث تايلور في أستراليا آنذاك. وقال "أو تَعلم، أنا واثق أن إليزابيث ستسعد بمقابلتك" فقلت "هل أنت جاد؟!" فقال "سأذهب إلى هناك غداً، تعال معي".

واتصل أرنون بأمه شوشانا في الحال وقال لها:

لن تصدقي ما يحدث لي، سأقابل إليزابيث تايلور.

وآنذاك كان نجم إليزابيث تايلور قد بدأ يخبو، إذ كان وزنها قد ازداد ولم تعد في الصدارة، لكنها كانت أسطورة هوليوودية بأصدق معنى للكلمة واحترمها أرنون بشدة.

وعقب العشاء المنتظر بلهفة مع تايلور، حسم أرنون أمره. وفي هذا يقول "دخلته واعياً، وأردت أن أستَغل، وتطوعت لأكون المغفل المقبل في مجال السينما. وأخبرت إليوت أنني أريد أن أعمل في المجال. وفجأة صرنا نتعاون معاً في صناعة الأفلام".

تُفسِّر عدة مواقف حماس أرنون المفاجئ لمجال صناعة الأفلام وكيف اختلطت بمشاريعه الأخرى. مثلاً، كان الكاتب البريطاني أنتوني سامسون قد أصبح مشهوراً نتيجة لمعارضته النشطة للفصل العنصري في جنوب إفريقيا، ولاحقاً أصبح كاتب سيرة نيلسون مانديلا. معارضة سامسون للعنصرية ودوره

كصحفي وكاتب مؤثر لم يمر مر الكرام على إسشيل رودى، وكونى مولدر، وجهاز الاستخبارات جنوب الإفريقى.

كان سامسون قد أصدر مؤخراً كتاباً أسماه "بازار الأسلحة، من لبنان إلى لوكهيد" يناقش العديد من صفقات الأسلحة الضخمة فى منتصف السبعينيات، ويركز بخاصة على جنوب إفريقيا.

بالطبع لم يكن سامسون يعى سوى جزء يسير من الحقيقة. وبعد إصدار الكتاب بفترة وجيزة، تلقى سامسون مكالمة فى شقته فى لندن من إليوت كاستنر يقترح عليه إنتاج فيلم مقتبس من كتابه الجديد. وأوضح له أن ممول المشروع سيكون إسرائيلياً واسمه ميلتشان، وأنه جديد على مجال السينما وأنه أكثر شخص مبهر قابله فى حياته. وأكد أيضاً لسامسون أن الرجل يتحرك بسرعة الضوء، ليس لديه مكتب ولا سكرتير، ومكتبه فى رأسه، وإنه يغازل الخطر ويجوب العالم بحقيبة من الأموال مختلفة العملات، ارتاب سامسون لكنه وافق على الحديث معه.

وبعد محادثته مع كاستنر بفترة وجيزة، تلقى سامسون سلسلة من المكالمات الهاتفية السريعة من ميلتشان، والذى طلب منه أن يقابله على الفور. وبعد بضع ساعات، فتح سامسون بابه ليستقبل ميلتشان، والذى كان يرتدى حلة رياضية وحذاء التنس، ويحمل حقيبة سوداء ذات قفل رقمى من ٦ أرقام.

وصفه سامسون قائلاً: بدا وكأنه نجم سينمائى، وسيم، مبتهج، وساحر. شرح لى أنه يجنى أمواله من شركة الأسمدة والكيماويات التى ورثها عن والده.

قال ميلتشان: "أريد أن أكون مبدعاً ولا أستطيع أن أكون رساماً ولا

كاتباً، لذا قررت أن أصبح منتج أفلام وأريد أن أصنع فيلماً عن تجارة السلاح" وكان ذلك موضوعاً قريباً من قلبه.

ولم يكن لدى سامسون فكرة أنه يقابل محركاً رئيساً للأمور فى جنوب إفريقيا، شخصاً كان من السهل أن يكون المادة الأساسية لكتابه.

تحدث الرجلان لفترة، بداية عن فيلم محتمل ثم لاحقاً تحدثا بشكل عام. وسرعان ما فهم ميلتشان أنه يتعامل مع رجل واسع الاطلاع ذى آراء مقنعة عن جنوب إفريقيا. لم يفتح قط تلك الحقيبة السوداء، واتفقا على أن يستأنفا نقاشاتهما التى لم ينتج عنها أى فيلم، لكن سامسون ألقى بذور الشك فى عقل أرنون بشأن أنشطته التى كان يقوم بها لحساب جنوب إفريقيا.

لكن صحوته الحقيقية عن حقائق الفصل العنصرى فى جنوب إفريقيا جاءت لاحقاً، وفى زياراته المعتادة لجنوب إفريقيا، عندما لم يعد يُستقبل لدى وصوله فى المطار بمراسم استقبال فخمه ولم يعد يصحبه المسئولون الحكوميون. وأثناء تلك الرحلات، استغل الفرصة لاستئجار سيارة جيب ليستكشف ما وراء المناطق المعزولة التى يتمتع البيض بالعيش فيها، لتتفتح عيناه على الحقيقة. وفى هذا الصدد نجده يقول:

"وجدت نفسى وجهاً لوجه مع أكثر فقر مدقع رأيته فى حياتى، إذ زرت بلدات وقرى صغيرة.

وكان الجور الذى شهدته تجربة غيرت حياتى. كنت حراً فى الذهاب إلى أى مكان أريده، وأدركت أن هذا ليس حال الناس الذين قابلتهم فى تجوالى. وكان هذا عبئاً يتثاقل على ضميرى. لكن كان ثمة واقعة قسمت ظهر البعير. ذات يوم زرت حديقة حيوان محلية، وعلى مدخلها لاحظت لافتة كتب عليها غير

مسموح بالسود ولا الأسيويين. ولم تكن تلك اللافتة الأولى التى رأيتها على تلك الشاكلة، لكن فجأة خطر ببالى أننى أسيوى وأخذت هذا على محمل شخصى بطريقة لم أفعلها من قبل. وعرفت أن التصريح الذى حصلت عليه عنصرى أكثر منه جغرافياً، لكننى ببساطة لم أستطع أن أحمل نفسى على الدخول.

ولم أستطع أن أمنع نفسى من التفكير فى العنصرية التى هربت منها عائلتى نفسها، أو فى أولئك الذين تخلفوا فى أوروبا وقتلوا بسبب التحيز".

فى تلك الليلة لم يستطع النوم. وفى الصباح حزم حقائبه واتجه إلى المطار، إذ اتخذ قراراً شخصياً بألا تطأ قدمه أرض ذلك البلد مجدداً أبداً حتى تنتهى منها العنصرية، وأنه سيفعل كل ما بوسعه للقضاء عليها.

أثناء تلك الفترة تعاون كاستنر وميلتشان فى إنتاج فيلم اسمه "Mad"، وتم تغييره لاحقاً إلى "ستيك أب" بطولة ديفيد سول. قال ميلتشان إن الفيلم كان سيئاً لحد أنه لم يضع اسمه ضمن القائمين على الفيلم، لكنه رفض أن تثبط همته. تنطبق ملاحظة ونستون تشرشل أن صفة الشخص الناجح هى قدرته على الانتقال من فشل إلى التالى بدون أن يفقد أياً من حماسه على شخصية ميلتشان.

وفى مشروع الفيلم التالى تعامل مع منتج من نيوزيلندا وهو مارتن كامبل، فى فيلم من إنتاج عام ١٩٧٦ واسمه "بلاك جوى"، وكان موسيقياً كومبدياً مقتبساً عن مسرحية تحكى عن شاب أسود يصل من جزر الكاريبى إلى حى بريكستون القاسى المتحيز فى لندن، وينتقل من كارثة كوميدية إلى الأخرى، "الحياة موجودة لكى نعيشها كان شعار الفيلم"، و"دعونا من السياسة" كان معناه المضمر.

وتفاجأ الكثيرون عندما عرفوا أن فيلم "بلاك جوى" سيعرض بأسلوب لافت فى مهرجان كان السينمائى المهيب وأن مخرجه أنتونى سيمونز رُشِح لجائزة السعفة الذهبية.

وللحفاظ على المظاهر، اصطحب ميلتشان إسشيل رودى المفتون بالنجومية إلى مهرجان كان ذلك العام، حيث قدمه ميلتشان إلى صديقه رومان بولانسكى وآخرين فى مجال السينما. وعلى المائدة أيضاً كان ديفيد أبرامسون وستيوارت بيغ، خبيرى المال جنوب الإفريقيين اللذين كانا يعاونان وزارة المعلومات جنوب الإفريقية، وعملا عبر شركات الواجهة المملوكة لميلتشان لشراء القنوات الإعلامية المستهدفة. ولم يكونا يعرفان بأمر التغير الذى اعترى أرنون وأنه بدأ بالفعل يتجه إلى تقويض جهودهما.

لم تكن السينما فقط هى المجال الوحيد الذى بدأ ميلتشان يقتحمه. فى ٢٨ ديسمبر عام ١٩٧٦، افتتح مسرحية موسيقية فى برودواى اسمها "أيبى تومبى" وتعنى أين الفتاة؟ بلغة الزولو. وكانت أيبى تومبى مسرحية موسيقية جنوب إفريقية الأصل عن زعيم قبيلة إفريقى شاب تعانى قريته من الفقر والجفاف، ويسافر إلى المدينة الكبيرة على أمل أن يجد الثروة لينقذ بها قومه. وبدلاً من ذلك يجد الطمع، والفساد، والفنانين المحتالين. ومتحرراً من الأوهام يعود الشاب إلى قريته فى الوقت المناسب ليحول دون نشوب الحرب فيها.

كانت قصة تقليدية تشبه قصة فيلم "بلاك جوى"، ولم تشهد المسرحية الموسيقية سوى تسعة وثلاثين عرضاً فحسب. فى فبراير ١٩٧٧ . وفى ذات العام، اشترك ميلتشان وكاستنر فى إنتاج فيلمهما الثانى "ذا ميدوسا تاتش"، ولعب دور البطولة فيه ريتشارد برتون الأسطورى.

ويمكن وصف فـيلم "ذا مـيـدوسـا تاتش" بأنه فـيلم مـؤامـرة شـيطانيـة سبعينياتي تقليدى، يماثل مزيجاً من سلسلتى أفلام "ذا إكسورسيست" و"ذا أومين" وأفلام الكوارث مثل "إيرثكويك" و"إيربورت"، إذ يؤدى ريتشارد برتون دور وسيط روحانى مهووس يحاول أن يقنع طبيباً نفسياً بقدرته الشيطانية على قتل الناس وعلى إحداث الكوارث من خلال قوة أفكاره.

كان الفيلم مقتبساً عن رواية لبيتر فان غرينواى، وظهر على غلاف الرواية طائرة ركاب ضخمة تصطدم فى ناطحة سحاب. وبعد أعوام، ألهبت تلك الصدفة خيال نظريات المؤامرة عن حادث ١١ سبتمبر.

استثمر ميلتشان ٤٠٠ ألف دولار فى فيلميه الأولين "ماد" و"بلاك جوى". وساهم بأكثر من نصف ميزانية فيلم "ذا ميدوسا تاتش" والتى قدرت بـ٤ مليون دولار.

سرعان ما تلقى مكالمة من اللورد لو غريد، وهو من أساطين المال الإنجليز، حيث دعا ميلتشان على الغداء ليناقشه فى فيلم "ذا ميدوسا تاتش". وفقاً لـجاك ماثيوز المحرر الفنى فى جريدة لوس أنجلوس تايمز، لم يستمر الاجتماع أكثر من نصف ساعة، اشترى فيها اللورد غريد حقوق عرض الفيلم بـ٥ مليون دولار. وبغض النظر عن احتمال فشل الفيلم، فقد كسب ميلتشان مليون دولار بالفعل. كانت المراجعات عن الفيلم جيدة فى إنجلترا لكنه لم ينجح فى الولايات المتحدة.

وعقب "ذا ميدوسا تاتش"، شعر ميلتشان أن كاستنر لا يشاركه الرؤية بشأن نوعية الأفلام التى يحلم بإنتاجها، وشعر أيضاً أن أفلامه لا تحقق نجاحاً فى السوق الأمريكية، والتى انتوى ميلتشان غزوها. تعلم ميلتشان الأساسيات من كاستنر، وكان الوقت قد حان للمضى قدماً. ومضى كل منهما فى طريقه.

لكن بحلول عام ١٩٧٨ كانت حرب إسشيل رودى وكونى مولدر المعلوماتية فى خطر كما كان محتوماً. وأعلن رئيس الوزراء جون فوستر استقالته فى ٢٠ سبتمبر وبدأ سباق محموم للحصول على منصبه وبدأ تنافس قوى بين مولدر ووزير الدفاع بي دبليو بوثا، لكن مولدر لم يتمكن من الحصول على دعم فوستر.

لكن الكلمة الأخيرة فى نتيجة الانتخابات كانت لشخص آخر يدعى بوثا، لا علاقة له ببى دبليو. كان وزير الخارجية بيك بوثا الذى كان قد ظل فى منصبه لوقت طويل، رجلاً متآمراً عنيداً يحب الترويج لنفسه، لم يكن يحب أياً من رودى أو مولدر، ورآهما كوجهين لعملة واحدة فى الساحة السياسية جنوب الإفريقية. وكان قد تعرض شخصياً لمحاولاتهما لإضعاف مكانته على مدى أعوام، حيث أبقياه ووزارته خارج دائرة الأحداث لمرات عدة.

وكانت الإطاحة بمولدر كمرشح أهل للثقة ستعزز من موقف بيك بوثا مع بى دبليو، والذى اشتهر بمكافأة المخلصين، وانتوى بيك بوثا مساعدة بى دبليو بوثا للفوز بمنصب رئيس الوزراء، لينتقم من مولدر ولينال مكافأته فى ذات الوقت.

كانت هناك طريقة واحدة تصلح لتقويض مكانة الدكتور كونى مولدر وموقفه الانتخابى فى الحال، وهى إثارة فضيحة مالية ضخمة تنطوى على اختفاء ملايين الراندات [عملة جنوب إفريقيا] أثناء حرب مولدر ورودى المعلوماتية الخبيثة.

وافترض رودى أن بيك بوثا تسلم تلك المعلومات المهلكة من خلال صديق مشترك سابق بينهما طعنه فى ظهره وكان أيضاً شريكاً فى العملية، وكان

اسمه ريتيف فان روين، ووفقاً لرودى، كان كاتم الأسرار الذى كان، بشكل ممنهج ومن وراء ظهره، يبلغ بيك بوثا بكل المعلومات الحساسة عن حرب المعلومات السرية.

لكن ما لم يكن رودى يعرفه هو أن ميلتشان وليس ريتيف فان روين، كان المصدر النهائى للتسريبات. كان ميلتشان بالفعل كاتم أسرار فضيحة المعلومات الكبرى فى جنوب إفريقيا، والتى تعد أكبر ضربة قاسمة لنظام الفصل العنصرى منذ أن وجد.

وفى الحال بدأت تطرح الأسئلة العامة عن شراء العديد من قنوات الإعلام العالمية وتظهر فى الصحف التى تساءلت: من أين أتوا بالمال؟ وفيم أُنفِق بالضبط؟ ومن المسئول؟ ومن المالك الفعلى لتلك القنوات الإعلامية الآن؟، كانت تلك كارثة مباشرة قاسية لكل من مولدر ورودى. وتم كشف العملية برمتها، ولأنها كانت سرية من البداية، لم تكن لها وثائق كثيرة، وتحمّل كل منهما العواقب كاملة. ولم يُرِد أحد بمن فيهم فوستر أن يبادر ويقر بأنه كان على دراية بالعملية برمتها، أو أنه وافق عليها.

وخلال أسابيع، تم تسمية تلك الفضيحة بمولدرجيت وتناقلتها كل الصحف، ليس فى جنوب إفريقيا فحسب بل وفى كل أنحاء العالم. أُهين رودى وأجبر على الاستقالة. وبقى مولدر لفترة أطول، لكنه استقال محفوفاً بالعار أيضاً. وهكذا أنهى ميلتشان حرب جنوب إفريقيا المعلوماتية السرية فجأة وبشكل محرج.

وذات يوم فى شقته فى باريس فى أوج زمن الفضيحة، تلقى ميلتشان زيارة مفاجئة من شخص قدم نفسه بلهجة جنوب إفريقية ثقيلة بأنه مبعوث من

بريتوريا. وأخبر هذا الشخص ميلتشان بعد ذاك بأنهم كانوا على علم تام بتسريباته وحذره قائلاً إن كان يعرف مصلحته هو وأطفاله، فعليه أن يغلق فمه الكبير المحب للزنوج. ويزعم ميلتشان بأنه لم يُخطِر بتلك الواقعة لا الموساد ولا لاكام حتى يتمكن من الاستمرار فى أجندته الخاصة،فى تقويض المؤسسة العنصرية بأكملها.

تنبأ إسشيل رودى بما كان ينتظره وهرب من البلد، أولاً إلى الإكوادور، ثم إلى كان فى جنوب فرنسا، حيث شرع فى تأليف كتاب يكشف فيه أركان المؤامرة. وبينما كان فى فرنسا تلقى رودى زيارة من الجنرال فان دين بيرغ، والذى نصحه بتجنب المغالاة فى مكاشفاته، خاصة وأنها مرتبطة بالجوانب الحساسة للعلاقة الإسرائيلية جنوب الإفريقية. والتزم رودى بنصيحته وحذف الإشارات إلى العملاء السريين الفاعلين من الكتاب بأكلمه. لكن لسبب مستغرب، نسى أن يحذف اسماً واحداً من تلك القائمة وهو أرنون ميلتشان.

وفى الواحدة والربع من صباح ١٩ يوليو ١٩٧٩، قام رودى وقبّل زوجته، وأخبرها أنه كان متوجهاً سيراً على الأقدام إلى الناصية لينتظر وصول صديق. وأخذ مفاتيح الشقة. ولم يتكبد حتى عناء توديعها إذ توقع أنه سيعود خلال دقائق بل إنه ترك محفظته.

وخرج من شقته ونزل السلم، وعبر الباب الأمامى إلى ضوء الشمس القوى. ولم يكد يخطو خمس عشرة خطوة عندما سأله صوت من ورائه السيد رودى؟. فالتفت، ليجد رجلين آخرين قد أطبقا عليه وأمسكاه من ذراعيه وهرعا به إلى سيارة مركونة أمام المبنى. وكان الثلاثة يرتدون ملابس عادية.

قال كبير الثلاثة بلهجة فرنسية ثقيلة "أنت مقبوض عليك"، وارتاح إذ كان

قد تخيل ما هو أسوأ من ذلك.

ولأول مرة فى حياته شعر رودى بالأصفاد تضيق على معصميه. كان متبلداً ومصدوماً، وسأل ما إن كان بإمكانه إبلاغ زوجته، لكنهم رفضوا ثم طلب أن يترك مفاتيح الشقة مع البواب، لكنهم رفضوا. وسألهم عن سبب القبض عليه، فلم يجبه أحد. وتم اصطحابه إلى مقر الشرطة فى نيس لأخذ بصماته، وحبسوه فى زنزانة قذرة، بدون سرير ولا كرسى، ولا مياه جارية، مجرد ثقب فى الركن ليستخدم كمرحاض.

وبعد عدة ساعات، تم إبلاغه وهو لا يزال فى الأصفاد، أنه قد صدرت بحقه مذكرة قبض وأنه سيتم ترحيله فى الحال إلى جنوب إفريقيا. وطلب الاتصال بعائلته لإبلاغهم لكن طلبه قوبل بالرفض. طلب محامياً وأيضاً قوبل طلبه بالرفض. وتبين أن محاميه الفرنسى أبلغ باختفائه، وشك فى أنه تم اختطافه بغرض الترحيل الفورى، وقدم بلاغاً بمبادرة شخصية منه.

صدمت الشرطة التى كانت قد حاولت ترحيله من البلاد قبل أن يحدث ذلك، عندما أصدر أحد القضاة أمراً طارئاً ببقائه. بدأت عملية طويلة وصعبة لتسليمه بينما كان هو قابعاً فى زنزانته الفرنسية القذرة.

وفى النهاية تم ترحيل رودى إلى جنوب إفريقيا وتمت محاكمته بتهمة تورطه فى تلك المؤامرة. أدين وحكم عليه بالسجن ١٢ عاماً، لكن الحكم تم إبطاله فى محكمة الاستئناف التى قضت بأنه كان يتصرف بصفته الرسمية بناء على تعليمات رؤسائه والذين كانوا على دراية كاملة بأنشطته. ورحل عن جنوب إفريقيا رجلاً يتجرع المرارة، وبدأ حياة جديدة فى الولايات المتحدة، حيث أصبح وكيل إعلانات فى منطقة أتلانتا، جورجيا. وفى ١٧ يوليو ١٩٩٣، وبينما

كان يلعب التنس الذى يحبه، انهار فى الملعب ومات بأزمة قلبية وهو فى الستين من عمره.

كانت فضيحة المعلومات جنوب الإفريقية حدثاً عالمياً مثيراً حيث كُشِفت تفاصيل حملة تتضمن عشرات المشاريع لقمع صحافة المعارضة الداخلية وشراء التغطية الصديقة فى الخارج. تحمل رودى وطأة اللوم العظمى فى الفضيحة بينما تمكن المحرك المالى الرئيسى "أرنون ميلتشان" من تجنب التورط فيها. ولم تكن تلك هى المرة الأخيرة. إذ قبل فترة وجيزة من نهاية النظام العنصرى، نقلت جنوب إفريقيا كل موادها النووية تقريباً إلى إسرائيل، وكان من بينها التايتينيوم والقنابل الستة التى تحوزها. وأخطرت حكومة جنوب إفريقيا بعد ذلك الوكالات الدولية أنها قامت بتفكيك كل أسلحتها النووية.

وعلى حين أنه كان فى البداية يتخذ موقفاً متردداً بشأن الفصل العنصرى، إلا أن أرنون أصبح تدريجياً يناهضه بأسلوب نشط. وبحلول عام ١٩٩١، قبل ثلاثة أعوام من سقوط نظام الفصل العنصرى، أنتج أرنون فيلم "ذا باور أوف وان"، وأخرجه جون جى أفيلدسن مخرج الفيلمين الشهيرين "روكى" و"ذا كاراتيه كيد"، وكان الفيلم مقتبساً عن رواية لبرايس كورتناى عن دخول ناشط مناهض للعنصرية مرحلة النضوج أثناء حقبة الحرب العالمية الثانية فى جنوب إفريقيا. كان بطله بى كيه ذو السبعة أعوام فتى أبيض جنوب إفريقى تربى فى مزرعة عائلته على يد مربيته التى تنتمى إلى قلبية الزولو. وعندما مرضت أمه، تم إرساله إلى مدرسة داخلية أفريكانية، حيث كان يتم التحرش به وكاد يقتل على يد بلطجى المدرسة. ثم يصادق موسيقاراً ألمانياً، وملاكماً أسود سابقاً – والذى يلعب دوره مورغان فريمان – الذى يُعلّم بى كيه كيف يستخدم قبضتيه للدفاع عن نفسه.

وعندما يبلغ الثامنة عشرة من عمره، يصبح بى كيه الأمل الأبيض العظيم للأفارقة السود، ويشق طريقه بالملاكمة إلى قلوبهم وعقولهم. ويتحالف مع خصم قديم ملاكم، ويخوضان معاً صراع مناهضة العنصرية.

يمثل فيلم "ذا باور أوف وان" تحولاً مذهلاً لميلتشان، مقارنة بمواقفه فى الأعوام السابقة. قال ميلتشان: سأناضل طوال حياتى ضد العنصرية والفصل العرقى.

ثمة المزيد مما يقال بشأن ميلتشان والعنصرية وجنوب إفريقيا والتنس. فى عام ١٩٨٨ استضافت إسرائيل مسابقة تنس دولية دعى إليها لاعبون من جنوب إفريقيا. وكان رياضيو جنوب إفريقيا مُقاطَعين دولياً، لذا استغلوها كفرصة للمنافسة بالخارج. وكأمارة على العلاقة الخاصة بين البلدين، وافقت إسرائيل على إتاحة المسابقات الرياضية التى تشترك فيها جنوب إفريقيا. وفى تلك المسابقة شاركت بطلة التنس أماندا كويتزر من هوبستاد، جنوب إفريقيا ذات السابعة عشر عاماً لأول مرة دولياً، وأصبحت لاحقاً المصنفة الثالثة عالمياً، وهزمت لاعبات قويات مثل شتيفى غراف ومارتينا هينغيز. وبعد ذلك بفترة طويلة، أصبحت زوجة ميلتشان الثانية وأم أصغر أبنائه.

يمتلك الزوجان ضمن أماكن أخرى، منزلاً فى مدينة بليتينبيرغ باى الجميلة، المكان الذى وقع ميلتشان فى حبه منذ سنوات عديدة ماضية.

وفى أغسطس ٢٠٠٣، حضر أرنون وأماندا عيد الميلاد الثمانين لشمعون بيريز فى فندق هيلتون تل أبيب. وكمعظم الناس الذين يتحرون السرية، استقلا مصعد الخدم. ولدى نزولهما انضم إليهما بالصدفة ضيف آخر يتحرى السرية، وكان رئيس جنوب إفريقيا السابق إف دبليو دى كلارك، الحاصل على جائزة

نوبل للسلام والذى أشرف على تقويض النظام العنصرى. تعرف على أماندا فى الحال، لكنه لم يكن واثقاً من هوية الرجل الواقف إلى جوارها. وكما تتذكر أماندا، عندما قدمت رفيقها أرنون ميلتشان، تعرف دى كلارك على الاسم فوراً، ورفع حاجبيه، وابتسم وقال "لقد فعلت أشياء هامة لجنوب إفريقيا".

obeikandl.com